منهج الأُبَيّ في شرح صحيح مسلم
وأَوْجُه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري

د. صلاح بن صالح الحارثي

أستاذ مساعد في الحديث وعلومه، كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران، (المملكة العربية السعودية)

salah-alharthi@hotmail.com

ملخَّص البحث

لقد رسم أئمة الحديث مناهجاً متميزة في تدوين السنة النبوية؛ من خلال تصانيفهم المختلفة؛ ومؤلفاتهم المتعددة، مما يوجب النظر في هذه المناهج والإفادة منها. فكان هذا البحث الذي يهدف الباحث من خلاله بيان منهج الإمام الأُبي – رحمه الله – في كتابه "إكمال إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم"، وذلك بالنظر إلى التزام مؤلفه بما رسم لنفسه من معالم عامة لمنهجه دونَّها في مقدمة كتابه، والتي ركزت على جانب الدراية دون الرواية، وقد أظهر البحث التزام المؤلف بها، أو من خلال الاستقراء قدر الاستطاعة لمنهجه بالنظر في جمعه لشروح مسلم التي قبله ونقولاته من غيرها وزياداته المكملة لها، والتي كان أغلبها في جانب الدراية؛ إلا أنها حوت العديد من مسائل علوم الحديث، وقد حوى البحث أمثلة لها. ثم بالمقارنة بين هذا الكتاب وبين أصله المعلم بفوائد مسلم للمازري ظهرت عدد من أوجه العلاقة بينهما. وقد أظهر هذا البحث عناية المؤلف بفقه الحديث وأحكامه وغريبه وما تضمنت الأحاديث من مباحث لغوية، وكذلك دقة استنباط المؤلف، وسعة علمه. ويُبرز هذا البحث مكانةَ هذا الشرح بين شروح مسلم، وهو يحتوي على مقدمة وعشرة مباحث وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: المنهج. صحيح مسلم. الأوجه. الأُبَي. المازري. الشرح. العلاقة.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد[1]:

فهذا البحث بعنوان: " منهج الإمام الأبي في كتابه إكمال الإكمال، وأوجه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري"، كتبته للمشاركة في المؤتمر الدولي السنوي الرابع (الإمام ٤) للسنة النبوية؛ والمعنون بـ: " منهجية التصنيف والتأليف عند علماء الحديث قديماً وحديثاً "، والذي ينظمه معهد دراسات الحديث الشريف (إنهاد) بالكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور – ماليزيا، وأرجو الله أن ينفعني به ومن يطلع عليه، إنه سميع مجيب.

[1] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) –صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م، ط١)، برقم (٨٦٨).

eISBN 978-967-2122-81-4

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان منهج الإمام الأُبي في كتابه "إكمال إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم" والمقارنة بينه وبين أصله "المعلم بفوائد مسلم" للإمام المازري –رحم الله الجميع –.

مشكلة البحث:

إبراز مكانة هذا الشرح بين شروح مسلم، كونه جامعاً لأربعة من أهم شروح "صحيح مسلم"، ولما احتوى عليه من فوائد علمية؛ تنبع من مكانة مؤلفه وملائته العلمية، وكذلك لأن المؤلف اعتمد على ابن عرفة، وهو المعروف بغزارة علمه وفوائده.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وفيها: أهداف البحث، وأهميته، ومشكلته، وخطته، وعشرة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأول: ترجمة الشارح.

المبحث الثاني: اسم الكتاب وأهميته العلمية، وصورة عامة لمنهج الأبي فيه.

المبحث الثالث: منهجه في تراجم الرواة.

المبحث الرابع: طريقته في نقد المتون والأسانيد والحكم على الأحاديث.

المبحث الخامس: طريقته في التراجم والتبويبات وتحليل الألفاظ.

المبحث السادس: طريقته في استنباط الأحكام والفوائد.

المبحث السابع: مذهبه العقدي، ومذهبه الفرعي وتأثيرهما في كتابه.

المبحث الثامن: مصادره في كتابه وتأثره بابن عرفة.

المبحث التاسع: منهجه في مناقشة المخالفين.

المبحث العاشر: المقارنة بينه وبين أصله المعلم بفوائد مسلم للمازري.

الخاتمة، والتوصيات.

المراجع العلمية.

الفهرس.

المبحث الأول: ترجمة المؤلف[٢]:

[٢] انظر: محمد بن محمد بن عمر مخلوف ت ١٣٦٠هـ –شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – تحقيق عبدالمجيد خيالي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م، ط١) (٣٥١/١)، وحاجي خليفة واسمه مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م) (٥٥٥/١)، والتنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت: ١٠٣٦ هـ) –نيل الابتهاج بتطريز الديباج – عناية الدكتور عبد الحميد الهرامة، (ليبيا: دار الكاتب، ٢٠٠٠م، ط٢) (٤٨٧/١)،والقرافي بدر الدين محمد بن يحيى القرافي (ت١٠٠٨هـ) – توشيح الديباج وحلية الابتهاج – تحقيق الدكتور علي عمر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، ط١).

eISBN 978-967-2122-81-4

المطلب الأول: اسمه ونسبته:

محمد بن خلفة – بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام – بن عمر الأُبي [٣] الوشتاني المالكي: عالم، محدث، فقيه، حافظ، مفسر، ناظم، تولى القضاء والتدريس بتونس. وصفه ابن حجر بأنه عالم المغرب بالمعقول. وقال عنه السنوسي: الشيخ العلامة. وقال الشوكاني: ويحكى عنه من سلامة الفطرة ما يخرجه إلى حد الغفلة مع مزيد تقدمه في العلوم.

وقد ليم ابن عرفة على كثرة اجتهاده وإتعابه لنفسه في النظر والمراجعة لإعداد درسه في الفقه فقال: كيف أنام الليل وأنا بين أسدين، الأبّي بفهمه وعقله، والبرزلي بنقله.

المطلب الثاني: أشهر شيوخه:

عبد الله بن عرفه، وقد لازمه وتأثره به، والقاضي عمر القلشاني، وغيرهما.

المطلب الثالث: من تلاميذه:

أحمد بن يونس وأبو القاسم ابن ناجي وعبدالرحمن الثعالبي، وغيرهم.

المطلب الرابع: من مصنفاته [٤]:

١) إكمال إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، وهو محل بحثي.
٢) شرح المدونة في فقه المالكية.
٣) تفسير القرآن العظيم.
٤) الدرة الوسطى في مشكل الموطأ.
٥) شرح فروع ابن الحاجب.

المطلب الخامس: وفاته:

توفي سنة سبع وعشرين وثمان مائة للهجرة – رحمه الله –

المبحث الثاني: اسم الكتاب وأهميته العلمية، وصورة عامة لمنهج الأبي فيه:

المطلب الأول: اسم الكتاب:

" إكمال الإكمال "، وقد نص المؤلف على هذه التسمية في مقدمة كتابه [٥].

المطلب الثاني: أهمية كتابه العلمية:

---

٣ الأُبي: بضم الهمزة وتشديد الموحدة نسبة إلى أُبّة قرية من قرى تونس، انظر: الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ) –معجم البلدان – تحقيق فريد الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية) (١٠٨/١)، وابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) –تبصير المنتبه بتحرير المشتبه – تحقيق علي البجاوي ومحمد النجار، (المؤسسة المصرية العامة للنشر) (٣١/١).

٤ انظر: حاجي خليفة واسمه مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م) (٥٥٥/١) (١٢٥٦/٢)، وعمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ) –معجم المؤلفين –دار إحياء التراث العربي –بيروت (٢٨٣/٩).

٥ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٧/١).

eISBN 978-967-2122-81-4

تتضح أهمية هذا الكتاب في عدة أمور منها:

١) كون الكتابِ شرحاً لصحيح الإمام مسلم ذا المكانة العالية بين كتب السنة بعد صحيح الإمام البخاري، وتلقتهما الأمة بالقبول.

٢) هذا الشرح جامع لأربعة من شروح صحيح الإمام مسلم وهي: المعلم[٦]، وإكماله[٧]، والمفهم[٨]، والمنهاج[٩]، مع زيادات عليها.

٣) سعة علم المؤلف، وبروزه في عدد من فنون العلم.

٤) كذلك إفادته من شيخه ابن عرفه، الذي يعد أحد المصادر التي اعتمد عليها الأبي في هذا الكتاب وسوف يأتي بيان ذلك – إن شاء الله تعالى-.

٥) فيه فوائد فقهية كثيرة، ويمكن أن نعتبره كتاباً في الأحكام، وخصوصاً في مذهب مالك.

٦) امتدح المؤلف كتابه في مقدمته بقوله: " أرجو أن المنصف لا ينكر أن الكتاب جاء عالي الكعب سهل الأخذ، ولم يكن القصد بوضعه إلا وجه الله تعالى" [١٠].

المطلب الثالث: صورة عامة لمنهجه:

يقول الأبي في مقدمته: "أما بعد: فإن هذا تعليق أمليته على كتاب مسلم، ضمنته كتب شراحه الأربعة، المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات مكملة، وتنبيه على مواضع من كلامهم مشكلة، ناقلاً لكلامهم بالمعنى لا باللفظ حرصاً على الاختصار، مع ما في ذلك من بيان ما قد يعسر فهمه من كلامه بعضهم لتعقيده، لا سيما من كلام القاضي عياض..."[١١].

لقد بين الأبي منهجه العام في كتابه في مقدمة مختصرة، ويمكن توضيحه من خلال النقاط التالية:

١) ابتدأ كتابه بمقدمة مختصرة بين فيها المعالم الرئيسية لمنهجه وطريقته في كتابه.

٢) شرحه هذا هو تعليق أملاه على صحيح الإمام مسلم.

٣) الأُبي لم يشرح مقدمة صحيح مسلم؛ بل بدأ بشرح أحاديث الصحيح مباشرة مبتدئاً بكتاب الإيمان، وذكر السبب في ذلك فقال في مقدمة كتابه:" ولم أتعرض للكلام على الخطبة لأنها في علم الحديث، وذلك شيء آخر، ورأيت الأهم البداية بشرح الأحاديث، وإن أنسأ الله في الأجل، وسهل فسأتكلم عليها إن شاء الله تعالى" أهـ[١٢]،.

---

٦ هو كتاب: المعلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ)

٧ اسمه: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)

٨ اسمه: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦ هـ) وهو شرح لكتابه تلخيص صحيح الإمام مسلم.

٩ اسمه: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)

١٠ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٧/١)

١١ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٧/١)

١٢ انظر: المصدر السابق (٤٧/١)

eISBN 978-967-2122-81-4

٤) وتعرض في شرحه لجميع أحاديث الصحيح من كتاب بداية الإيمان إلى نهاية كتاب التفسير.

٥) تضمينه في كتابه كتب شراح مسلم الأربعة: المعلم بفوائد مسلم للمازري، وإكمال المعلم للقاضي عياض، والمفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ورمز إليها بحروف وهي: (م) للمازري، و(ع) لعياض، و(ط) للقرطبي، و(د) للنووي، ولفظ (الشيخ) لشيخه ابن عرفه، وما زاده من غيرهم من كلام لأهل العلم ينص على قائله.

٦) أضاف الأبي زيادات مكملة لا توجد في هذه الشروح.

٧) ينبه على مواضع مشكلة من كلام الشراح الذين ينقل عنهم ويبينها.

٨) نقل كلام هؤلاء الشراح بالمعنى لا باللفظ؛ حرصاً على الاختصار وعلى إيضاح وبيان لما قد يعسر فهمه من كلامهم، لا سيما من كلام القاضي عياض١٣، وقد نقل عن شيخه ابن عرفة كلاماً يؤيد ما ذهب إليه فقال: "سمعت شيخنا أبا عبد الله محمد بن عرفة –رحمه الله تعالى–يقول: "ما يشق علي فهم شيءٍ ما يشق من كلام عياض في بعض المواضع من الإكمال"أهـ[١٤].

المبحث الثالث: منهجه في تراجم الرواة:

إن الأُبي –رحمه الله –في هذا الكتاب متجه لجانب الدراية اتجاهاً يغلب على كتابه؛ حتى لا تكاد تجد له إلا مواضع يسيرة على حسب ما وقفت عليه من الكتاب في جانب الرواية وعلوم الحديث مقارنة بجانب الرواية وفقه الحديث وغريبه واللغة، ومن ذلك الكلام على الرواة، وقد صرح –رحمه الله –بهذا المنهج عندما ذكر السبب في عدم شرح لمقدمة مسلم كما تقدم فقال:" ولم أتعرض للكلام على الخطبة لأنها في علم الحديث، وذلك شيء آخر"[١٥].

ولذلك نجد أنه لم يتعرض لتراجم الرواة في شرحه لمسلم، إلا أنه نادراً وفي بعض مواضع الخلاف يبين حال الراوي المختلف فيه؛ وينقل الأقوال فيه ويرجح؛ مثل ما ذكر في محمد بن إسحاق١٦، وهي قليلة حسب ما وقفت عليه، وقد يشير لبعض الاختلاف في أسماء أو كنى بعض الرواة، ويبين اختلاف رواة صحيح مسلم في بعض أسماء وكنى رجال الإسناد، وقد يترجم ترجمة يسيرة موجزة لبعض الصحابة، ولغيرهم من الرواة، وربما فصل في النسب وأورد الاختلاف فيه أحياناً، وأكثر ما يكون ذلك نقلاً عن غيره من الشراح أو من غيرهم من العلماء، ومن أمثلة ذلك:

---

١٣ وقد تعقب هذا الشيخ عبدالكريم الخضير بأن الأبي استند في هذا إلى كلام شيخه ابن عرفه وهو غير مسلم إذ قد يكون من كلام ابن عرفه ما ينطبق عليه ذلك فكيف ينتقده؟، ومثل بمثال يدل على أن كلام ابن عرفه أعسر من كلام القاضي عياض.–من درس له (مقارنة بين شروح الكتب الستة) مفرغ في الشاملة.

١٤ قلت: وربما تسبب هذا التصرف في اللفظ ببعض الإشكالات ومنها عدم نقل كامل كلام الشارح وترجيحه المنصوص عليه في كتاب ومثال ذلك يأتي في (ص ١٢)

١٥ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٧/١).

١٦ انظر: المصدر السابق (٥/٣)

eISBN 978-967-2122-81-4

قال الأُبي: (قوله في سند الآخر عن أبي علقمة الهاشمي)، ثم ساق كلام القاضي عياض قوله: كذا جاء نسبه في بعض الروايات، وسقط الهاشمي في أكثر النسخ، وفي تاريخ البخاري أبو علقمة مولى أبي هاشم، وروى عنه يعلى بن عطاء ومحمد بن الحارث، وذكر له البخاري في التاريخ حديثاً في أشراط الساعة عن أبي هريرة؛ ولم يخرج له في صحيحه شيئاً، وذكره الحاكم ونسبه الهاشمي لكنه لم يذكره في التابعين فهو وهم١٧.

وقال أيضاً: (قوله في السند: جرير عن عمارة عن أبي زرعة)، ثم نقل كلام المازري قوله: كذا للجلودي١٨ وزاد عنه ابن ماهان١٩، قال مسلم: جرير كنيته أبو عمرو، وأبو زرعة اسمه عبيدالله، كوفي من أشجع، وروى عنه الحسن بن عبيدالله، وبين أهل العلم في هذه الجمل اختلاف، أما أن اسم أبي زرعة عبيد الله فكذا ذكره مسلم أيضاً في كتاب الطبقات؛ وله في كتاب الكنى وللبخاري في كتاب التاريخ أن اسمه هرم، وقال الكسائي: عمرو، وأما أنه من أشجع فقال بعضهم لا أدري كيف هذا وأبو زرعة هو عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي وأين يجتمع أشجع وبجيلة، وأما أنه يروي عنه الحسن بن عبيد فمثله للبخاري، وقال ابن المديني وابن الجارود الذي يروي عنه الحسن رجل آخر اسمه هرم يروي عن ثابت بن قيس، وبين ابن الجارود الذين يرون عن أبي زرعة فقال يروي عنه عمارة بن القعقاع والحارث الكعبي وأبو حيان التميمي، وكذا ذكره النسائي كما ذكرهما ابن الجارود٢٠.

ومنه: (قوله في السند أن نوفاً)، ونقل عن عياض قوله: نوف بن فضالة هذا قيل أنه ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل ابن أخته،كان عالماً قاضياً وإماماً لأهل دمشق ويكنى بأبي زيد٢١.

أما زياداته فلم أجد أنه يتكلم في الرواة، أو يبين نكت الإسناد إلا نادراً ومن ذلك:

قال الأُبي: (قوله في السند الآخر عن رجل أراه غندراً عن شعبة)، كذا لابن ماهان، وجَوَّد الجلودي السند فقال: ابن المثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة٢٢.

وقال أيضاً: (قوله في الإسناد الآخر سفيان عن عبيدالله بن عبد الله بن الأصم عن عمه وفي الآخر عبد الله بن عبد الله)، قال: كلاهما صحيح لأنهما أخوان عبيد الله وعبد الله رويا عن عمهما٢٣.

---

[١٧] انظر: المصدر السابق (١٧٨/٥)

[١٨] محمد بن عيسى أبو أحمد النيسابوري، راوي صحيح مسلم عن ابن سفيان (ت٣٦٨هـ)، انظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) –سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥م، ط٣) (٢١١/٣٠١/١٦).

[١٩] عبدالوهاب بن عيسى أبو العلاء الفارسي البغدادي، راوي مسلم عن الأشقر عن القلانسي (ت ٣٨٧هـ)، انظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) –سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، ط٣) (٣٩٢/٥٣٥/١٦).

[٢٠] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٧٧/١).

[٢١] انظر: المصدر السابق (١٧١/٦)

[٢٢] انظر: المصدر السابق (١٤٥/١)

[٢٣] انظر: المصدر السابق (٢١٣/٢)

eISBN 978-967-2122-81-4

المبحث الرابع: طريقته في نقد المتون والأسانيد والحكم على الأحاديث:

المطلب الأول: ما يتعلق بالمتون:

العناية بالمتون هي صلب الكتاب وأساسه، وكان اهتمام المؤلف بفقه الحديث وما فيه من أحكام هي جل كتابه وأكثره، وقد نص على ذلك كما تقدم، ومن منهجه وطريقته في ذلك ما يلي:

١) اتبع المؤلف طريقة مسلم في ترتيب الأحاديث؛ فهو يمر عليها شرحاً بنفس الترتيب ذاكراً أسماء الكتب مبتدئاً بكتاب الإيمان ثم الطهارة، وهكذا، وأما التبويبات فإنه لم يتبع من قبله ممن بوب على صحيح مسلم بل له تبويبات خاصة سيأتي الكلام عنها – إن شاء الله–، وهو أيضاً لا يسوق متن الحديث كاملاً كما في الصحيح بل يقطعه أجزاءً وجملاً وكلمات يشرحها مبيناً ما فيها من الأحكام سواء كانت في العقائد أو العبادات أو أبواب الدين الأخرى؛ ويسوق أقوال العلماء فيها ويناقشها، ويورد أدلة كل قول ويرد عليه، ويرجح في بعض من تلك المواضع، ولذلك عده بعضهم من المجتهدين مع عدم إظهاره – رحمه الله – لذلك، والسبب – والله أعلم – الوضع السياسي والاجتماعي في عصره، ومع عنايته بمسائل العقائد وتفصيلها إلا أنه يفسرها وفقاً لمذهبه الأشعري، وقد يخالفهم أحياناً كما سيأتي –إن شاء الله –.

٢) بيَّن –رحمه الله–ما في المتون من اللغة والغريب والأسماء المهملة والمبهمة والمشكلة وضبطها، ففي جانب اللغة نجده يهتم بضبط المفردات وأوجه الإعراب فيها وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي، وإن كان في الحديث ثمة مفردات غريبة فإنه يوضح معناها، وأغلب ما يكون ذلك من زياداته –رحمه الله–، وربما نقل بعض ذلك من الشروح الأخرى أو من كلام أهل العلم غيرهم من أهل الاختصاص كابن الأثير في النهاية وابن قتيبة في غريب الحديث، وغيرهم.

٣) لقد سار الأُبي – رحمه الله – وفق منهجه الذي رسمه في مقدمة كتابه من إيراد أقوال شراح مسلم الأربعة والرمز إليهم قبل كل ما ينقله عنهم، وما كان من عند غيرهم فإنه يذكر اسمه، وحسب استقرائي وجدت أنه ملتزم بهذا المنهج عند نقله منهم يرمز إليهم.

٤) ومما يلاحظ أن كثيراً من شرحه هو جمع لكلام من سبقه من الشراح الأربعة؛ ومن كلام شيخه ابن عرفة، وهذا أحد الأسس لشرحه كما بين ذلك في مقدمة كتابه، وكذلك نقله لكلامهم بالمعنى دون اللفظ كما ذكر، وهذا أمر ظاهر غالب، لكن ربما كان النقل بالمعنى لكلامهم يؤدي أحياناً إلى ضعف الدقة في بيان مرادهم أو إلى النقص في هذه العبارات المنقولة، و سيأتي مثال لذلك، وأكثر من ينقل عنهم من الشراح هما القرطبي والنووي.

٥) أما الزيادات المكملة التي زادها الأُبي على من سبقه يمكن إجمالها في الغالب في عدد من الأمثلة:

أ– في التعقيب على كلام الشراح الأربعة، فنجده أحياناً يعلق عليهم في ما يتعلق بالمتن المشروح ويبين ما يتعلق منه بما هو من لفظ أحاديث مسلم والتي هي محل الشرح وما أوردوه مما هو شرح للفظ آخر في غير مسلم. ومثاله: تعليقه على قول القاضي عياض: وفيه بسط الكلام بين يدي الحاجة لقوله: "إني سائلك ومشدد عليك"، وفيه الصبر على سؤال الجاهل ولزوم تعليمه ما يحتاج إليه في دينه وفيه جواز الاعتذار لقوله: "فلا تجدن عليّ". فقال

eISBN 978-967-2122-81-4

الأُبي معقباً: الألفاظ التي أخذت منها هذه الأشياء لم تقع في مسلم وإنما هي في البخاري، وقد أخرج البخاري هذا الحديث من طريق أنس وقال فيه عن أنس رضي الله عنه: بينما نحن جلوس في المسجد، دخل علينا رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد بن عبد الله والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال الرجل: أبْنَ عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "قد أجبتك"، فقال الرجل: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد عليّ في نفسك فقال: "فسل عما بدا لك"، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال:" اللهم نعم"، وذكر نحو حديث مسلم[٢٤].

ب- عرض الحديث على القرآن الكريم ومناقشته في ضوء ذلك. ومثال ذلك: تفسيره لإحصان الإماء وما ورد في القرآن من معنى الإحصان، فقال: يعني بقوله هنا الإحصان المذكور في الزيادة فإنه خلاف الإحصان المذكور في الآية فإنه في الزيادة منفي وفي الآية مثبت، وأيضاً فإنه في الزيادة شرط في حد السيد الأمة وهو في الآية شرط في حدها... الخ[٢٥].

ومنه: عند ذكر جواز قطع أشجار الكفار فناقش ذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة﴾... الآية"، [الحشر ٥] ٢٦.

وكذلك: قوله: قلت: قال تقي الدين نهى عن التبتل هنا وأمر به في قوله تعالى: ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً﴾[المزمل٨]، ووجه الجمع أن المنهي عنه غير المأمور به؛ فلا تعارض فالمنهي عنه ترك النساء وما انضم اليه من الغلو في الدين مما هو داخل في جنب التنطع، والمأمور به ملازمة العبادة والإكثار من قيام لليل وترتيل للقرآن، ولم يقصد به ترك النساء، فقد كان النكاح موجوداً مع ذلك[٢٧].

ت- ينقد المتون ويناقشها من خلال عرضها على الأحاديث الأخرى وبحال راويها من الصحابة، وهذا كثير في كتابه. ومثال ذلك: أحاديث صلاة الضحى فقال: لا يقال الحديثان الأولان هما شهادة على النفي وهي من العالم مقبولة، ولا سيما من عائشة رضي الله عنها؛ لأنها إنما نفت الرؤية كما تقدم، وأما التعارض في العدد ففي حديث عائشة كان يصلي أربعاً وفي حديث أم هانئ ثمانياً، وفي حديث أبي هريرة ركعتين[٢٨].

---

[٢٤] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٨٣/١)

[٢٥] انظر: المصدر السابق (٤٦٧/٤)

[٢٦] انظر: المصدر السابق (٥٧/٥)

[٢٧] انظر: المصدر السابق (٩/٤)

[٢٨] انظر: المصدر السابق (٣٦٤/٢)

eISBN 978-967-2122-81-4

ومثله: مناقشته لحديث النهي عن سفك الدم في الحرم، والاستدلال لمذهب أبي حنيفة في أن من جنى ما يوجب سفك دمه خارج الحرم ثم دخله أن يقتاد لخارجه، وأورد من الأحاديث ما يؤيد هذا، ويرد على من خالف هذا القول[٢٩].

وكذلك: (قوله فكانت للمسلمين جولة) بفتح الجيم وهي الانهزام، وهذا إنما كان لبعض الجيش، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة معه فلم يتولوا، والأحاديث بذلك مشهورة، وأجمعوا أنه لا يحل أن يقال انهزام رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن من المواطن؛ بل صحت الأحاديث بإقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته[٣٠].

ومنه كذلك: ما ذكره عند حديثه عن عدد أيام الهجر هل يجوز أكثر من ثلاث ليال؟[٣١].

ث- يبين ما قد يشكل في المتن ويرد على تلك الإشكالات.

ومثاله: ما ورد عند (قوله فلأولى رجل ذكر) قال: أي لأقرب، وذكر يحتمل أن يكون نعت الرجل أو هو لأولى، واستشكل بأن الذكورية مفهومة من الموصوف؛ وأجيب بأنه تنبيه على سبب استحقاقه التعصب، واستشكل أيضاً بأن اشتراط الذكورية في العاصب مناقض لكون الأخوات عصبة البنات؛ وأجيب بأن ذلك من قبل المفهوم، وغايته أن المفهوم عام فيخصص بالحديث قبل المفهوم، وغايته أن المفهوم عام فيخصص بالحديث الدال على أن الأخوات عصبة البنات [٣٢].

ومنه قوله: قلت: مذهب مالك من تكرر منه العطاس أن يشمته ثلاثاً، ثم يمسك لحديث أبي داود وشمت أخاك ثلاثاً، فإن زاد فهو مزكوم ووقع في الموطأ على الشك، قال: لا أدري أفي الثانية أو في الثالثة. وحديث أبي داود هذا يرفع الشك، وأما حديث مسلم هذا فلم يذكر فيه أنه تكرر، وظاهره أنه متى عرف أن العاطس مزكوم أو تكرر فلا يشمته، ولعل الراوي لم يحضر إلا بعد الثالثة أو لم يجعل باله إلا حينئذ[٣٣].

ج- اعتنى بمختلف الحديث:

قال رحمه الله: إذا ورد حديثان في معنى بطريقين بينهما تناف فلا بد من الجمع بين الطريقين وطريق الجمع، إن اتحد الموطن أن يُذكر وجه يناسب، وإن تعدد الموطن فالجمع بأن يُذكر أيضاً وجه يناسب أو يقال إنه ذكر في موطن ما لم يذكر في آخر وهذا الحديث مع الأول ومن هذا القبيل، ففي الأول المبتدي بالسؤال جبريل عليه السلام، وفي هذا النبي صلى الله عليه وسلم فيجمع بأن يكون جبريل عليه السلام ابتدأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم سأحدثك، فذكر في الأول السؤال وفي الثاني الجواب٣٤.

---

[٢٩] انظر: المصدر السابق (٤٥٢/٣)

[٣٠] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٦٢/٥)

[٣١] انظر: المصدر السابق (١٦/٧)

[٣٢] انظر: المصدر السابق (٣١٨/٤)

[٣٣] انظر: المصدر السابق (٣٠١/٧)

[٣٤] انظر: المصدر السابق (٧٥/١)

eISBN 978-967-2122-81-4

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند حديث سباب المسلم فسوق فقال: فيعارض حديث " المتسابان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم"؛ لأنه نص في أن إثم تشاتمهما إنما هو على البادئ ويجاب بأن حديث السباب محتمل، فيرد لذلك النص، وإنما كان على البادئ؛ لأنه المتسبب والآخر إنما هو مكافئ[٣٥].

ومنه الجمع بين اختلاف الأقوال وتعارض الأحاديث في صلاة الضحى[٣٦].

ومنه الجمع بين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لماعز، وعدم استغفاره له[٣٧].

وقد يورد أحياناً الجمع بينهما من كلام من سبقه من الشراح.

ح- استخدم – رحمه الله – اللغة في بيان معنى المتن وتوجيهه وفقاً لذلك كما في بيانه لحديث: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... الحديث"، فقال: فتقول لا تدن من الأسد يأكلك بالرفع، ولا يصح الجزم؛ لأنه يصير المعنى إلا تدن من الأسد يأكلك وليس كذلك؛ بل إذا لم تدن منه لم يأكلك، والحديث وزان المثال فيصير المعنى على الجزم إلا تكفروا يضرب بعضكم رقاب بعض، وليس الأمر كذلك؛ بل إذا لم تكفروا لم يضرب بعضكم رقاب بعض، ولو لا أنه أشار إلى إحالة المعنى بالوجه الذي ذكرت لقلت: إنما يعني بإحالة المعنى هذا الذي قلنا؛ لأن الحديث على الجزم كالمثال المذكور[٣٨].

خ- تظهر ملكته الأصولية في مناقشة قواعد ومسائل أصول الفقه أثناء شرح متون الصحيح. ومن أمثلته: كلامه على الإجماع السكوتي حيث قال: فعل الإمام إذا لم يعلم له مخالف هي مسألة إذا أفتى وسكت الباقون ولها ثلاث صور، الأولى: أن لا تشتهر فتياه لأهل عصره فليس بإجماع ولا حجة، والثانية: أن تشتهر وتتكرر وتتوالى عليها الأزمنة، فإجماع وحجة وهذا كعمل الصحابة بخبر الواحد والقياس، الثالثة: أن تشتهر ولا تتكرر، فقال الشافعي: ليس بإجماع ولا حجة، وقال أحمد: إجماع وحجة، وقال الجبائي: إجماع بشرط انقراض العصر، وقال ابنه: حجة لا إجماع، وقال ابن أبي هريرة: إجماع في الفتوى دون الحكم... الخ[٣٩].

ومنه: قوله في حديث" لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة": الخلاف الكائن في صيغة لا تفعل في النهي هل هي للتحريم أو للكراهة، والمشهور عند الأصوليين أنها للتحريم، وإذا كانت للندب فالأذن ندب، وإذا كانت للتحريم فالأذن لازم[٤٠].

---

[٣٥] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (١٧٦/١)

[٣٦] انظر: المصدر السابق (٣٦٤/٢)

[٣٧] انظر: المصدر السابق (٥١٢/٤)

[٣٨] انظر: المصدر السابق (١٧٨/١)

[٣٩] انظر: المصدر السابق (١٠٩/١)

[٤٠] انظر: المصدر السابق (٣١١/٤)

eISBN 978-967-2122-81-4

ومن ذلك التكلم في مسألة الصحة والقبول[٤١]، وكذلك كلامه في مسألة مفهوم العموم[٤٢]، والعام المخصوص[٤٣]، وغيرها كثير.

د- وقد وقفت على بعض المواضع التي ينقل فيها كلام أهل العلوم الدنيوية لإظهار معنى خاص والاستدلال له، أو لمناقشة معنى اختاره أحد الشراح، ومثاله نقله لكلام الحكماء في الفرق بين الضياء والنور عند قوله صلى الله عليه وسلم: "والصبر ضياء" ومناسبة الضياء للصبر[٤٤]، وكذلك ينقل أحياناً عن والفلاسفة والمتكلمين ومنه مناقشة كلامهم في مسألة الرؤية[٤٥].

ذ- أحياناً يذكر من الروايات التاريخية التي وقعت في عصره في شمال أفريقية ما هو مناسب للموضوع الذي يتحدث فيه[٤٦]، أو يذكر ما يناسب الباب من القصص والحوادث المعاصرة له، ومثاله ما نقله من قصة شيخه ابن عرفه وعن غيره في كتاب الطب عند حديثه من العين ومن اشتهر بها[٤٧]، وقصة صلاة ثابت البناني في قبره[٤٨].

ويظهر من خلال ما سبق سعة علم المؤلف وشموليته وإحاطته بالمذاهب العقدية والفقهية واستجماعه لعلم اللغة والأصول، وتمكنه من فنون العلم المختلفة واستخدامه لهذه العلوم في شرح الصحيح مما يجعله كتاباً مفيداً، وموسوعياً، ومرجعاً مهماً.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالأسانيد والحكم على الحديث:

سبق الكلام على أن المؤلف -رحمه الله-لم يكن من أهدافه التطرق لعلوم الحديث، وقد صرح بهذا في مقدمته، فجانب الدراية هي الغالبة على كتابه، وأما الرواية فهي قليلة جداً مقارنة بها، ومن ذلك الأسانيد والحكم على الأحاديث فلم يتطرق إليها في المواضع التي نظرتها إلا قليلاً، وأغلب تلك المواضع هي نقل عن من سبقه من الشراح بطريقته في الترميز لهم، ومن غيرهم من أهل العلم ويسميهم، دون التعليق على ما ينقل إلا نادراً، ومن أمثلة ذلك:

قال الأبي: (قوله: قال صالح وقد يحدث بنحو ذلك عن أبي رافع) (ع): يعني عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر ابن مسعود، وكذا ذكره البخاري في التاريخ، (الجياني): وأنكر ابن حنبل هذا الحديث وقال: الحارث غير محفوظ الحديث، وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود وابن مسعود يقول: اصبروا حتى تلقوني على الحوض، (د): قال ابن الصلاح: وثقه ابن معين وروى عنه جماعة من الثقات، ولم نجد له ذكراً في كتب

---

[٤١] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٧/٢)

[٤٢] انظر: المصدر السابق (٣١٩/٤)

[٤٣] انظر: المصدر السابق (١٤٨/٢)

[٤٤] انظر: المصدر السابق (٦/٢)

[٤٥] انظر: المصدر السابق (٣٣٦/١)

[٤٦] انظر: المصدر السابق (٥٢/٥)

[٤٧] انظر: المصدر السابق (٥/٦)

[٤٨] انظر: المصدر السابق (١٦٨/٦)

eISBN 978-967-2122-81-4

الضعفاء، ثم إنه لم ينفرد الحارث بالحديث بل توبع عليه حسبما أشار به كلام صالح بن كيسان، وذكر الدارقطني في كتاب العلل أن الحديث روي من وجوه أخر غير طريق الحارث[٤٩].

وقال أيضاً: قوله في السند (عن صالح عن عبيدالله) (م): قيل هو في نسخة ابن ماهان عن صالح عن الزهري عن عبيدالله، وإدخال الزهري خطأ؛ لأن صالحاً أسن منه وهو يرويه عن عبيدالله دون واسطة[٥٠].

وكذلك: قوله في السند (أن أبا سلام حدثه عن أبي مالك) (ع): تعقبه الدارقطني بأنه أسقط من بينهما عبدالرحمن بن غنم وكذا فهو في النسائي، ثم ساق كلام النووي قوله: ويجاب لمسلم بأنه علم أن أبا سلام سمعه مرة من أبي مالك ومرة من عبدالرحمن، فذكره من إحدى الطريقين٥١.

ومنه:(قوله في سند أبي بردة أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة الجمعة قال قلت: نعم) (م): استدركه الدارقطني وقال: لم يسنده غير مخرمة عن أبيه عن أبي بردة وإنما رواه الجماعة عن أبي بردة٥٢.

ونجده كذلك وهو قليل يتطرق لبعض مسائل علوم الحديث في بعض المناسبات يناقش ما ينقل من كلام الشراح من تلك المسائل ويعلق عليها ويرجح.

مثل: مسألة تفضيل البخاري على مسلم وبعد أن ساق كلام النووي بإطلاق الأصحية على البخاري قال: أما أنه أصح فهو الذي عليه الأكثر وقيل بل مسلم أصح واختاره النيسابوري٥٤٥٣.

ومنه: مسألة الفرق بين حدثني، وحدثنا، وأخبرني، وأخبرنا، وسمعت، فنقل كلاماً للنووي يفهم منه أنه يعمم المراد بهذه المصطلحات؛ فقال: وأما أن قراءة الشيخ يعبر عنها بحدثني وحدثنان وقراءة التلميذ بأخبرني وأخبرنا، فهو أيضاً عليه الأكثر وأجاز بعضهم حدثنا في قراءة التلميذ، ثم حيث يقول حدثني وحدثنا فإنما ذلك إذا قصد الشيخ، إسماعه، وان لم يقصد فإنما يقول: قال الشيخ أو حدث أو سمعته يقول وحيث يقول أخبرني وأخبرنا فالأكثر على أن يقوله دون تقييد ومنعه قوم حتى يقول أخبرني قراءة عليه[٥٥].

وكذلك: استدل بحديث " فليبلغ الشاهد الغائب" على حجية خبر الواحد[٥٦].

---

[٤٩] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (١٥٦/١)

[٥٠] انظر: المصدر السابق (١٨٠/١)

[٥١] انظر: المصدر السابق (٣/٢)

[٥٢] انظر: المصدر السابق (١١/٣)

[٥٣] انظر: المصدر السابق (٥٠/١)

[٥٤] قلت: الأُبي نقل كلام النووي بالمعنى مما قد يفهم منه إطلاق النووي لأصحية البخاري دون تفصيل وبيان لكلام أهل العلم واختلافهم في هذه المسألة والترجيح، وبالرجوع لكلام النووي في المنهاج تجد أنه عقد لها فصلاً في مقدمة كتابه وبين هذه المسألة وما تفق عليه العلماء ومن خالف فيها ثم رجح تقديم البخاري، وهذا خلاف ما قد يفهم من كلام الأبي رحم الله الجميع. انظر: النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م، ط١) (٢٠/١–٢١).

[٥٥] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٥٠/١)

[٥٦] انظر: المصدر السابق (٤٥٢/٣)

eISBN 978-967-2122-81-4

وأيضاً مسألة الرواية بالمعنى، قال: في الحديث وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة قال: فيه صحة نقل الحديث بالمعنى؛ لأنه لما نسي عين اللفظ قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة كما يقول بعض الرواة أو كما قال[٥٧].

المبحث الخامس: طريقته في التراجم والتبويبات وتحليل الألفاظ:

١) لم يلتزم الأبي بالتراجم والتبويبات التي وضعت على صحيح مسلم، بل له تبويبات يضعها من لدنه، ويجعل للحديث ذي الطرق المتعددة تراجم مستقلة؛ فيقول: "الحديث من الطريق الثاني"، " الحديث من الطريق الثالث"، وهكذا[٥٨]، عدا تراجم الكتب مثل: كتاب الإيمان، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة؛ فهو ينقلها كما دونت قبله ويعرفها، بل إنه يبين معناها كجملة مركبة وينتقد من يفرد الجزء الثاني بالتعريف دون إضافته لما قبله، ويقول: " لم أر من تعرض لبيان كل الترجمة، وإنما نجدهم يتكلمون على الجزء الثاني فقط؛ فيقولون في كتاب الطهارة مثلاً الطهارة لغة كذا واشتقاقها من كذا وهي في العرف كذا، وقد رأيت أن أتكلم عليها تكميلاً للفائدة، فكتاب الإيمان مركب إضافي قيل: أن حده متوقف على معرفة جزئيه... "[٥٩].

٢) ومن طريقته في تحليل الألفاظ أنه يصدر الكلام الذي يريد شرحه بلفظ: (قوله...).

٣) في الغالب أنه يتعرض لأغلب ألفاظ الحديث بمعنى عام ومختصر دون تحليل للألفاظ؛ وأكثر ما يكون ذلك نقلاً عن الشراح الأربعة.

٤) ينقل معاني بعض الألفاظ من كتب الغريب واللغة ويضبطها بالحرف، ويحيل إلى من نص على ذلك، وعنايته بذلك واضحة، وكثيراً ما يرجح فيها عند وجود اختلاف.

٥) قد يورد ألفاظاً أخرى للحديث فيها زيادة ويخرجها لزيادة فائدة أو بيان حكم، ومثاله قوله: والحديث في الترمذي أنه لما حدثهم بذلك طأطؤا رؤوسهم، وفي أبي داود فنكسوا رؤسهم، فقال مالي أراكم عنها معرضين... الخ[٦٠]، ومنه: (قوله: واتق دعوة المظلوم) قلت: في حديث الدارقطني "ولو كانت من كافر"[٦١].

---

[٥٧] انظر: المصدر السابق (٧٩/١)

[٥٨] انظر: المصدر السابق (٧٤/١) (٩١/١)

[٥٩] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٨/١)

[٦٠] انظر: المصدر السابق (٣١٢/٤)

[٦١] انظر: المصدر السابق (١٠٠/١)

eISBN 978-967-2122-81-4

٦) ومن منهجه كذلك الإحالة إلى ما تقدم شرحه، فيقول تقدم تفسيره في حديث كذا كتاب كذا[٦٢]، وربما أحال على الحديث كله[٦٣]، أو قد يحيل تفسير عدد من الأحاديث كما في أحاديث الفتن[٦٤]، أو يحيل على ما قد يأتي فيقول: يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى[٦٥].

٧) ويظهر في ما وقفت عليه اهتمامه بفوارق النسخ واختلاف الروايات فيذكر الفرق بينها، وأكثر ما يفيد اختلاف النسخ من كلام المازري، وأكثر اعتماده على نسخ ابن ماهان والجلودي والكسائي.

المبحث السادس: طريقته في استنباط الأحكام والفوائد.

١) في الغالب أنه يذكر المسائل العقدية والأحكام الفقهية والفوائد التي يدل عليها الحديث ناقلاً أقوال الشراح الذين قبله، ثم يعقب عليها ويعلق عليها بلفظ (قلت:..)، وينقل عن شيخه ابن عرفة ويعبر عنه بلفظ (قال الشيخ)، ويسرد أقوال العلماء ومذاهبهم في المسألة ويناقشهم ويرد عليهم ويرجح أحياناً، ويمكن أن يعتبر كتابه كتاباً للأحكام فهي أكثر ما يكون فيه استنتاجاً، واستنباطاً، وتحريراً، وخصوصاً ما يتعلق بمذهب مالك، فقد أهتم رحمه الله بنقل المذهب المالكي غالباً، وتفصيل الأقوال فيه، والرد على ما قد يعترض به عليه أو توجيه بعض الأقوال المنسوبة لمالك رحمه الله، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في باب المسح على الخفين[٦٦]، وفترة السترة[٦٧]، وحكم زكاة الفطر[٦٨]، والنهي عن تلقي الركبان[٦٩]، وأحياناً يرد على ما ينسبه بعض الشراح للمالكية ويفند ذلك[٧٠].

٢) وأما أقوال المذاهب الأخرى فيكتفي في الغالب بما نقله الشراح الأربعة، وربما نقله بنفسه، وهو قليل حسب استقرائي[٧١].

٣) وأما عنايته بالمباحث اللغوية فأمر ظاهر لمن يقرأ هذا الكتاب، ففيه من الفوائد اللغوية ما يبين مكانة الكتاب والمؤلف في هذا الجانب، والأمثلة عليه لا يكاد يخلو منها حديث واحد.

٤) يهتم بتفصيل الأنساب وربما نقل الأقوال فيها ورجح، ومنه التعريف بـ (الجهني) و (ربيعة) ٧٢.

---

[٦٢] انظر: المصدر السابق (٣١٨/٤)

[٦٣] انظر: المصدر السابق (١٥٩/٦)

[٦٤] انظر: المصدر السابق (٢٥١/٧)

[٦٥] انظر: المصدر السابق (٦١/٥)

[٦٦] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٤٧/٢)

[٦٧] انظر: المصدر السابق (٢١٧/٢)

[٦٨] انظر: المصدر السابق (١١٦/٣)

[٦٩] انظر: المصدر السابق (١٧٩/٤)

[٧٠] انظر: المصدر السابق (٦٣/٥)

[٧١] انظر: المصدر السابق (١٧٨/٤)

[٧٢] انظر: المصدر السابق (٥٢/١) (٨٨/١)

eISBN 978-967-2122-81-4

٥) يمتاز الأبي بالاستنباط الدقيق للمعاني، ومن أمثلة ذلك كلامه على مذاكرة العلم٧٣.

المبحث السابع: مذهبه العقدي ومذهبه الفرعي، وتأثيرهما في كتابه.

المطلب الأول: مذهبه العقدي وتأثيره في كتابه:

كما هو معروف أنه –رحمه الله–أشعري المذهب في باب الأسماء والصفات، ويظهر هذا جلياً في شرحه عند تفسيره لبعض الصفات، ومثال ذلك: تعريف الإيمان[٧٤]، تأويله للحجاب ٧٥، والضحك ٧٦، وتفسير الرحمة ٧٧، وتأويل الغضب[٧٨]، والنزول[٧٩]، ونحو ذلك.

لكنه ربما خالف الأشاعرة في بعض المسائل العقدية، ومما وقفت عليه مخالفته لهم في تفسيره لمعنى صفة المحبة٨٠.

وقد كان لشيخه ابن عرفه أثر عليه – والله أعلم – في هذا، فهو من المنظرين للأشاعرة، فله كتاب المختصر الشامل في أصول الدين (المختصر الكلامي)[٨١]. قال ابن حجر عن الأبي: أنه عالم المغرب بالمعقول ٨٢.

ولم يظهر لي تعصب منه رحمه الله على من يخالفه في هذا، والله أعلم.

المطلب الثاني: مذهبه الفرعي وتأثيره في كتابه.

الأبي مالكي المذهب، وقد وقفت على بعض المواضع من كتابه، والتي ينسب نفسه فيها للمذهب المالكي[٨٣]، وكما تقدم فإن كتابه يعتبر كتاباً في الأحكام وهو ينقل أقوال المذهب ويرجح بينها، وقد يخالف أحياناً كما في مسألة أذان الجمعة كم هو ؟ وأين موضعه ؟ ٨٤.

وقد ينتصر لمذهب مالك في بعض المواضع[٨٥].

وأيضاً يسوق أقوال المذاهب الأخرى في بعض المواضع، وأقوال السلف، ولم يظهر لي تعصب مذهبي مؤثر على شرحه حسب نظري في المواضع التي وقفت عليها، والله أعلم.

---

٧٣ انظر: المصدر السابق (٥٣/١)

٧٤ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (٦٤/١ و١٠٢و١٩١ وغيرها)

٧٥ انظر: المصدر السابق (٣٣٢/١)

٧٦ انظر: المصدر السابق (٣٤١/١)

٧٧ انظر: المصدر السابق (١٥٧/٧)

٧٨ انظر: المصدر السابق (٣٦٣/١)

٧٩ انظر: المصدر السابق (٣٨٥/٢)

٨٠ انظر: المصدر السابق (١٤٣/١)

٨١ وهو مطبوع بدار الضياء – الكويت، بتحقيق نزار حمادي.

٨٢ انظر: ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) –تبصير المنتبه بتحرير المشتبه – تحقيق علي البجاوي ومحمد النجار، (المؤسسة المصرية العامة للنشر) (٣١/١).

٨٣ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (١١٨/٣) (٢٥٨/٣) (١٧٨/٤)

٨٤ انظر: المصدر السابق (٥/٣)

٨٥ انظر: المصدر السابق (٥/٢) و (١٠/٣) و (٣٢٣/٢) و(٣٣٩/٦)

eISBN 978-967-2122-81-4

المبحث الثامن: مصادره في كتابه وتأثره بابن عرفة:

الكتاب مكمل لما قبله من شروح مسلم، وقد نص المؤلف في مقدمته على نقله من كتاب "المعلم" للمازري، و"إكمال المعلم" للقاضي عياض، وكتاب "المنهاج" للنووي وكتاب "المفهم" للقرطبي، ويرمز اليها.

كتب السنة كالبخاري وبقية الستة وغيرها.

كتب الشروح الأخرى غير ما نص عليه كالخطابي وغيره.

كتب الفقه خصوصاً كتب علماء المذهب المالكي كابن القاسم وابن عبدالحكم وابن حارث وابن حبيب وابن رشد وابن الماجشون واللخمي وابن العربي وغيرهم، وينقل كذلك من المدونة.

وينقل عن المازري كما تقدم من الإكمال، وكذلك ينقل عنه من كتبه الفقهية المتعددة.

وكذلك ينقل عن غيرهم من علماء المذاهب فنجده ينقل عن الغزالي وابن عبدالسلام من الشافعية بالإضافة الى النووي.

وينقل من كتب الغريب واللغة مثل كتاب أبي عبيدة والقاسم بن سلام والخليل وابن دريد وغيرهم.

والغالب أنه ينسب القول إلى المؤلفين لا الى الكتب.

وقد جعل شيخه ابن عرفة[٨٦] أحد مصادره الرئيسية في كتابه فهو ينقل عنه كثيراً ويشير إليه بلفظ (الشيخ)، وقد نص على ذلك في مقدمته، وقد تأثر به تأثراً واضحاً في كتابه، فينقل قوله لتقوية المعنى المختار، ولا عجب في ذلك فهو شيخه الذي لازمه طويلاً، وأخذ عنه كثيراً من العلوم.

المبحث التاسع: منهجه في مناقشة المخالفين:

يذكر أقوال المخالفين كثيراً سواء في مسائل العقيدة أو الفقه ويناقشها ويرد عليها، ويرجح أحياناً.

ومثال ذلك: مناقشته للقدرية ٨٧، ومثل: مسألة تحديد الأيام البيض ٨٨، ولم يظهر لي حسب ما وقفت عليه وجود تعصب مذهبي لدى الأبي، ولا حدة ولا غلظة في العبارة على من يخالفه.

---

[٨٦] محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي؛ بفتح الواو وسكون الراء وفتح المعجمة وتشديد الميم نسبة إلى ورغمة قرية من أفريقية، التونسي، المالكي، عالم المغرب، المعروف بابن عرفة ولد سنة ٧١٦ للهجرة، فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، من شيوخه: والده وأبو عبد الله بن عبد السلام الهواري وابن سلامة الأنصاري، ومهر في المعقول والمنقول، وصار المرجوع إليه بالمغرب، وتصدى لنشر العلم، وكان لا يمل من التدريس وإسماع الحديث، وأجاز لابن حجر وصنف مجموعاً في الفقه سماه المبسوط، واختصر الجوفي في الفرائض، وعلق عنه بعض أهل العلم كلاماً في التفسير في مجلدين كان يلتقطه حال القراءة عليه، وصنف في كل من الأصلين مختصراً، وكذا في المنطق، ومات في رابع وعشرين جمادى الآخرة سنة ٨٠٣ للهجرة. انظر: ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ) –غاية النهاية في طبقات القراء – تحقيق ج. برجستراسر، (بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، ط١) (٢/٢١٤/٣٤٢٢)، والشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) –البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة) (٢/٢٥٥) والسخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار الجيل) (٩/٢٤٠/٥٨٦).

٨٧ انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (١/٥٥).

٨٨ انظر: المصدر السابق (٣/٢٧٦).

eISBN 978-967-2122-81-4

المبحث العاشر: المقارنة بينه وبين أصله المعلم بفوائد مسلم للمازري:

كتاب "المعلم بفوائد مسلم" للمازري هو أصل كتاب إكمال الإكمال للأُبي، فيعتبر المازري (ت٥٣٦هـ) أقدم ما وصلنا من شروح صحيح مسلم، ثم أكمل هذا الشرح القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) في كتابه "إكمال المعلم"، ثم قام القرطبي (ت٦٧١هـ) بعمل مختصر لصحيح مسلم وشرحه في كتاب أسماه: "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم"، وقام النووي (ت٦٧٦هـ) بشرح مسلم في كتابه: "المنهاج شرح مسلم بن الحجاج"، ثم جمع هذه الشروح الأربعة وأكملها بزيادات الأُبي في كتابه: "إكمال الإكمال"، وهنا أسوق عدداً من أوجه المقارنة بينه وبين أصله للمازري، فمنها:

١) شرح المازري عبارة عن تعليقات في دروس أملاها على طلابه، فكتابه منقول عنه إملاءً بخلاف كتاب الأبي، فقد قصد منه كتابة شرح على صحيح مسلم.
٢) المازري أقدم شرح لمسلم وصل إلينا، وكتاب الأُبي جامع لعدد من شروح الصحيح قبله[٨٩].
٣) شرح المازري لم يتعرض لجميع أحاديث الصحيح؛ بل كان ينتقي بعض الأحاديث التي عليها مدار الباب، ويعلق عليها تعليقات، ويملي فوائد منها، ولا يتعرض لبقية أحاديث الباب بخلاف الأُبي، فقد تعرض لجميع أحاديث الصحيح من بداية كتاب الإيمان إلى نهاية كتاب التفسير.
٤) كلاهما لم يشرح مقدمة صحيح مسلم إلاَّ أن المازري علق على ثمانية مواضع منها في شرحه، وأما الأبي فنص على عدم تعرضه لها كونها من علوم الحديث وليس مقصده من التأليف.
٥) المازري لم يعتمد على ترتيب مسلم للأحاديث بخلاف الأبي الذي سار على ترتيب مسلم.
٦) المازري له عناية بفقه الحديث مع علم الحديث، أما الأبي فجل كتابه في فقه الحديث وما فيه من الأحكام والغريب واللغة، ولم يكن له كبير اهتمام بعلوم الحديث.
٧) أكثر الأبي من النقل عن المازري، لكنه قد يخالفه ويرد عليه[٩٠]، ولكنه لم يستوعب كل كلامه.
٨) كلاهما على المذهب الأشعري وفي الفقه على مذهب مالك، وأثر ذلك بين في كتابيهما، والمازري أكثر دفاعاً عن الأشعرية، والأبي أكثر عناية بمذهب المالكية.

الخاتمة:

أبرز النتائج:

١) التكامل في التصنيف والتأليف مع الأمانة العلمية في ذلك منهج سلكه علماء الحديث قديماً، ومن أبرز صوره التكامل بين شروح صحيح الإمام مسلم.

---

[٨٩] قال السنوسي: من أحسن شروحه وأجمعها شرح العلامة أبي عبد الله الأبي رحمه الله تعالى ورضي عنه. السنوسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥هـ) –مكمل إكمال الإكمال– مطبوع مع إكمال الإكمال، (بيروت: دار الكتب العلمية) (٣/١).

[٩٠] انظر: الأُبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية) (١٢٨/١) (٣٣٣/١).

eISBN 978-967-2122-81-4

٢) لكتاب "إكمال الإكمال" للأُبي مكانة كبيرة بين أمثاله كونه استكمالاً لما قبله، وجمعاً لشروحهم مع الزيادة عليها ولبراعة مؤلفه وسعة علمه وإحاطته للمذاهب الفقهية واستجماعه لعلم الأصول واللغة والغريب.

٣) كتاب الأُبي مصدر من مصادر كتب الدراية المتميزة ومورد في الأحكام واللغة.

٤) للبيئة والشيوخ والمذاهب الاعتقادية والفرعية أثر على التلاميذ، ولو قل ذلك الأثر ومهما بلغوا من العلم؛ وذلك يتضح من خلال تأثر الأبي بشيخه ابن عرفه.

٥) مع تأثر الأبي بما ذكرت آنفاً إلا أنه –رحمه الله –منصف غير متعصب، ومجتهد فله ترجيحات واستنباطات دقيقة ومفيدة.

٦) تعدد مصادر الكتاب زادت من قيمة محتواه.

التوصيات:

١) يوصي الباحث بمزيد عناية لكتاب "إكمال الإكمال" وبمؤلفه من خلال الدراسات العلمية المتخصصة.

٢) شروح صحيح مسلم بحاجة إلى عناية خاصة من خلال دراسة مقارنة شاملة تجمع جميع شروحه والمقارنة بينها.

—

المصادر والمراجع:

١) الأبي أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبي (ت٨٢٨هـ) – إكمال الإكمال – (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢) القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ) –إكمال المعلم – تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل (مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، ط١).

٣) الشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) –البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة).

٤) ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) –تبصير المنتبه بتحرير المشتبه – تحقيق علي البجاوي ومحمد النجار، (المؤسسة المصرية العامة للنشر).

٥) القرافي بدر الدين محمد بن يحيى القرافي (ت١٠٠٨هـ) –توشيح الديباج وحلية الابتهاج – تحقيق الدكتور علي عمر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، ط١).

٦) الشيخ عبدالكريم الخضير درس بعنوان: (مقارنة بين شروح الكتب الستة) مفرغ في الشاملة.

٧) ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ) –غاية النهاية في طبقات القراء – تحقيق ج. برجستراسر، (بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، ط١).

٨) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) –سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥م، ط٣).

٩) محمد بن محمد بن عمر مخلوف ت ١٣٦٠هـ –شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – تحقيق عبدالمجيد خيالي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م، ط١).

١٠) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) –صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م، ط١).

١١) السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار الجيل).

eISBN 978-967-2122-81-4

١٢) حاجي خليفة واسمه مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م).
١٣) الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ) –معجم البلدان – تحقيق فريد الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
١٤) عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ) –معجم المؤلفين –دار إحياء التراث العربي –بيروت.
١٥) المازري أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي (ت: ٥٣٦هـ) –المعلم بفوائد مسلم – تحقيق الشيخ محمد الشاذلي، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٧م، ط٢).
١٦) السنوسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥هـ) –مكمل إكمال الإكمال– مطبوع مع إكمال الإكمال، (بيروت: دار الكتب العلمية).
١٧) النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) –المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م، ط١).
١٨) التنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت: ١٠٣٦ هـ) –نيل الابتهاج بتطريز الديباج – عناية الدكتور عبد الحميد الهرامة، (ليبيا: دار الكاتب، ٢٠٠٠م، ط٢).

eISBN 978-967-2122-81-4